

للمشاركة في مؤتمر القدس الثالث عشر

الذي سيعقد في رحاب: جامعة النجاح الوطنية

ضمن المحور: القدس في المشهدين الثقافي والأدبي

أ.د. فيصل غوادرة

يقدم بحثه الموسوم بـ "

"صورة القدس في شعر أيمن العتوم – ديوانه طيور

القدس نموذجاً"

جامعة القدس المفتوحة / فرع جنين

المقدمة:

القدس وأقصاها، أرض الله المباركة والمقدسة، تغنى بها الشعراء وبكوها عبر الزمن، أيام الغزو الصليبي، وأيامنا هذه في ظل الاحتلال والغزو اليهودي، وما أشبه اليوم بالبارحة، ففي البارحة نذر طائفة من الشعراء أنفسهم للقدس، ليسمعوا صوت أنينها لكل مسلم، إلى أن جاء صلاح الدين الأيوبي راعي الجهاد وصاحبه في زمانه وحرر القدس، واليوم هبت مجموعة من الشعراء نذروا أنفسهم -أيضاً- ليسمعوا صوت صرخات (وأقصاه، وامسلماه، و...) للعرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وكان من بينهم شاعر الأقصى الثاني الذي صدحَ عالياً، بشعره المقدسي للقدس وأقصاها، وبصوتٍ مدوٍ مجلجٍ معلنا حاجة القدس الشديدة لرجال الجهاد والمقاومة من أجل الإسراع في إنقاذ القدس الجريح، جاء شاعر الأقصى الثاني الذي لا يكاد يوجد من يشبهه بحرصه الشديد على تحرير الأقصى، وبإبداعه الشعري المميز في خدمة القدس وأقصاها، ولذلك جاء هذا البحث ليظهر صورة القدس في شعر "أيمن العنوم"¹ من خلال ديوانه: طيور القدس نموذجا بين دراسة موضوعية شملت جوانب مختلفة من ديوانه حول القدس وأقصاها، ودراسة فنية شملت موضوعات مختلفة غطت ما جاءت به الدراسة الموضوعية.

¹ الشاعر الدكتور "أيمن العنوم"، ولد في 1972/3/2 في سوف، جرش، حصل على الماجستير من الجامعة الأردنية بمعدل (3,75 من 4) وعلى الدكتوراة من الجامعة نفسها بمعدل (4) من (4)، له مجموعة من الدواوين الشعرية والروايات والمسرحيات والمقالات، وشارك في مئات الأمسيات والمهرجانات الشعرية في داخل الأردن وخارجه.

أولاً : الدراسة الموضوعية :

القدس هي أرض الله المباركة، نزلت بركتها من فوق سبع سماوات في قرآنه العظيم، وأصبحت آيات تتلى إلى يوم القيامة، من ذلك مطلع سورة الإسراء حيث قال الله - عز وجل - في قرآنه العظيم: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الإسراء آية 1)•

وكثيراً ما تحدث الشعراء عنها، ووصفوها بأجمل الأشعار، ووصفوها بعد الفتح، وبعد الاحتلال الصليبي لها وخلالها، وبعد التحرير على يد قائد الجهاد وأميره صلاح الدين الأيوبي، ثم وصفوها الآن على يد الاحتلال اليهودي الصليبي الظالم، وفي كل مرة تحتل فيها القدس وأقصاها يبكيها الشعراء بدموع غزيرة، حزناً وتألماً عليها، طالبين النجدة والتحرير لها، ويبقى الأمل كبيراً بأن يسخر الله لها من جنده من يأتي ليطهرها من دنس الاحتلال الصهيوني البغيض، وها نحن اليوم أمام شاعر كبير، نذر حياته للحق حيث كان، وللإسلام حيث دار، وللقدس حيث كانت، وسنتعرف اليوم على شيء من قديساته، فشاعرنا صاحب شعر يقرأ، بل ويتدق، فهو يلج إلى القلب مباشرة ليستقر في أعماقها؛ لأنه نابع من قلب صادق طاهر غيور على دينه ووطنه ومقدساته.

وسيشمل حديثي عدة لوحات حول القدس وأقصاها، مأخوذة من قصائده قيد الدراسة، وهذه اللوحات هي:

1. اللوحة الأولى : مكانة القدس من خلال قصيدته : هي القدس... نور الله، وسراج الأقصى .

أ. قصيدته (هي القدس ... نور الله):

يتقن الشاعر في هذه القصيدة في وصفه للقدس، ويتغزل فيها من خلال تكره لمفاتها التي تفتن كل من ينظر إليها أو يعيش فيها، فيقول مثلاً :

• رباها لجمالها الأخاذ فاتتات:

صفت في رباها الفاتنات موارد وغيبها في لجة السحر شاهد⁽¹⁾

• وهي طاهرة مباركة:

وطهرها هذا النبي وسرّة وباركها ايّ الكتاب الخوالد⁽²⁾
وقوله :

هي القدس للطهر المصقّى, فدني على أهله, فالآخرون زوائد⁽³⁾
-أزهارها ساحرة, وساحاتها دفاتر حب, وقبابها قصائد :

وأزهارها السحر الحلال, وساحاتها دفاتر حب, والقباب قصائد⁽⁴⁾
- وهي نور الله :

ألم تر أن الله أنزل نوره؟! فجنت بنور الله تلك المساجد

هي القدس نور الله... أتى لنوره بأن ينطفي, والنور بالله خالد⁽⁵⁾
- ترابها مقدس:

إذا سجد العشاق فوق ترابها تخيلت أن الكون حولك ساجد⁽⁶⁾
-الشجر والصخر يعشقانها:

ترى الشجر المحزون أورك غصنه وغنت غناء المستهام الأوابد

وتحسب أن الصخر أطربه الهوى فمالت من الشوق الصخور الجلامد⁽⁷⁾
- الكل يحبها:

¹العتوم, أيمن, ديوانه:طيور القدس, المؤسسة العربية للدراسات والنشر,بيروت, ط1, 2016 ص:86

² نفسه

³ نفسه ص 88

⁴العتوم, أيمن, ديوانه, ص86.

⁵ نفسه, ص87.

⁶ نفسه.

⁷ نفسه.

وكل يراها في الحياة عروسه
وكل لواء الحب للقدس عاقد (1)
-وهي أرض الإيمان:

لقد عضد الإيمان قلب حبيبي
كما عضد الكف المؤزر ساعد (2)
-ظلُّ الله في القدس:

غداً تحت فيء الله في القدس نلتقي
وتصفو لنا تلك الرُّبي والمعاهد (3)
- طيور القدس تعود لها:

وتشدو طيور القدس حين تزورها
فكل غريب الدار لابد عائد (4)

هذه هي اللوحة الأولى التي أظهر فيها الشاعر مقدرة فنية وتصويرية رائعة، جمع فيها بين المعنى والروح، وبين المادة والمعنى، أي جمع فيها بين الصفات المعنوية والمادية؛ ليظهر من هذا التمازج-إضافة إلى المقدرة الفنية والتصويرية- حبه العميق للقدس، وبأن هذا الحب تغلغل في نفسه إلى أعماقها، حتى ظهر على قسماات وجهه، وملامح صورته، التي نذرنا للقدس في كثير من أشعاره. فالقدس عنده نور الله في أرضه، وأرض الله المباركة، وترابها المقدس، وهي أرض الإيمان، والطهر والجمال والجلال، فهي تستحق من الجميع أن يحبها، ولكن هذا الحب يختلف من إنسان إلى آخر، بحسب دينه وفكره وثقافته، ومبادئه وأخلاقه ... ولم تخل قصيدته -كمعظم قصائده القدسية- من وخزات للضمير العربي المسلم، بأن يستيقظ، ويثور، لعله ينجد القدس الجريح، التي تئن وتشكو منذ سنوات، وليس من مجيب!! .

ب. - قصيدته سراج الأقصى : وهي مهداه ومرسلة لشيخ الأقصى "رائد صلاح" حيث قال بعد عنوان القصيدة: "مهداة إلى شيخ المسجد الأقصى وسراجه الذي لم ينطفئ الشيخ رائد صلاح".

ودارت أحداث هذه اللوحة (القصيدة) وصورها حول الآتي :
- يشبه الشاعر الشيخ كالليث والعاصفة والفجر والأذان، فيقول:

كالليث زمجر ... كالعواصف أرعدا
كالفجر أسفر... كالأذان تشهدا (5)
- هو الفداء للقدس :

1 نفسه.

2 نفسه، ص 88

3 نفسه

4 العتوم، أيمن، ديوانه 89

5 . نفسه ص101

عَشِقِ لِمَسْجِدِهِ الْحَبِيبِ أَنَا الْفَدَى(1)

وَوَقَفْتَ فِي لَيْلِ الشَّدَائِدِ مَفْرِدَا

وَتَذَلُّ عَنْ إِقْدَامِهِ طُعْمُ الْعَدَا

نَهَشَ الْبِلَادِ وَأَثَرَتْ أَنْ تَقْعَدَا

طَعَنَ الْعَرُوبَةَ جَهْرَةً وَتَهْوَدَا (2)

كَالنَّجْمِ فِي الْأَفْلَاكِ... يَا مَتَوَقِّدَا

وَأُضَىُّ بَلِيلِ التَّائِهِينَ الْفَرَقْدَا(3)

وَاصْرُخْ بِنَا مِتْقَاعَسِينَ وَرُقْدَا

بِالرُّوحِ... بِالْأَلَمِ سَوْفَ نَفْدِي الْمَسْجِدَا

وَإِعْضَبْ كَمَا شَاءَ الْإِلَهَ مُؤَيِّدَا(4)

عَبْدَ الْقُرُودِ... وَقَلَّ فَيْكَ مِنْ أَهْتَدَى

لِلزَّائِغِينَ عَنِ الصَّرَاطِ الْمُرْشِدَا(5)

مِنْ لِحْمِنَا وَعِظَامِنَا أَنْ يَوْقِدَا

وَحِذَارٍ مِنْ نَارِ الْإِبَا أَنْ تَحْمَدَا(6)

وَقَفْتُ بِسَاحَتِهِ الْمَنُونُ، فَقَالَ مِنْ

- يَقَارِنُ الشَّاعِرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَرُوبَةِ:

صَمِتَتْ زَعَامَاتُ الْعَرُوبَةِ خَسَةً

أَسْدًا تَهْيِبُهُ الضَّبَاعُ مَخُوفَةً

لَسْنَا نَدِينُ لِعَصْبَةٍ سَكَّتْ عَلَى

وَتَظَلُّ تَحْلَفُ بِالْعَرُوبَةِ... وَهِيَ مِنْ

ثُمَّ يَشْبَهُهُ بِالطُّودِ وَالنَّجْمِ وَالْحَقِّ وَالْفَرَقْدِ:

يَا شَامَخًا كَالطُّودِ... يَا مَتَرَفَعًا

قَفَّ فِي ضِيَاعِ الْحَقِّ حَقًّا ثَابِتًا

ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَوْقِظَ (الْآخِرَ الْعَرَبِيَّ) النَّائِمَ:

وَأَعِدْ عَلَى أَسْمَاعِنَا: يَا قَدْسَنَا

وَابْعَثْ عِبَارَتَكَ الَّتِي لَمْ تَنْطَفِئْ:

وَارْفَعْ سَيُوفَ الصَّحُورِ فِينَا... وَانْتَفِضْ

- طَرِيقَ الْخِلَاصِ أَنْتَ صَاحِبُهُ:

زَلَّتْ بِنَا قَدَمُ الطَّرِيقِ... وَضَلَّ مَنْ

فَكَنَ الطَّرِيقَ إِلَى الْخِلَاصِ... وَكَانَ لَنَا

وَقَوْلُهُ:

أَشْعَلْ نِدَاءً: (الْقُدْسُ فِي خَطَرٍ) وَخَذْ

وَإِنثِرْ دِمَانًا فَوْقَ أَقْصَانَا هَوَى

1 نفسه.

2 نفسه. ص 101-102

3 نفسه. ص 102

4 نفسه.

5 نفسه. ص 103

6 نفسه.

- ينبه إلى مكانة القدس فيقول:

إن تُسَلَّبِ القدس الأمانَ فلن ترى
القدس صورتنا... إذا رفَلتْ على
لعواصم العربِ الأمان على المدى
ثوب النعيم هَمَّتْ علينا عسجدا

القدس خيمتنا... فمن سيظننا
القدس نخلتنا... إذا تهوي... هوى
نحن الذين مع الفناء سننتهي
الخالدان: المسجد الأقصى وقد
إن هبَّ ريحُ العاتيات وعربدا
شملُ العروبة بعدها وتبددا
ولسوف تبقى والأذان مَخَلدا
سجدت لهيبته العواصم والردي⁽¹⁾

• ثم يصف سجن الشيخ رائد صلاح وجهاده^(*):
ابتداء من :

قل يا ظلام السجن أقبل إننا
نهوي الظلام، فما الظلام مَخَلدا

إلى قوله:

الرائد المقدم ليس بكاذب
في قومه... ولسوف تبقى (رائدا)⁽²⁾

وإنني لأجد الشاعر (د.أيمن العتوم) يخلع على ممدوحه شيخ الأقصى الكثير من الصفات التي يستحقها، فهو بحق جدير بهذا اللقب (شيخ الأقصى، وسراج الأقصى) وهو جدير بتلك المسميات والصفات، التي منها: فهو كالليث وكالعاصفة وكالفجر وكالأذان، وهو الفداء للقدس، وهو النقيض لكل عربي لا يقف مع نصرته القدس، وهو كالطود والنجم والفرقد، وصوته بمثابة المنبه للعرب والمسلمين حتى ينتبهوا لما يجري في القدس، وللقدس من تهويد وهدم وتهجير... .

والشيخ بسلوكه يمثل طريق الخلاص والتحرير للقدس وأقصاها، ثم ينبه أيضاً لمكانة القدس وأقصاها عند العرب والمسلمين بل عند الله- تعالى-، بعد ذلك يتحدث الشاعر عن معاناة شيخ الأقصى في سجنه وأسرته، حتى إن (د.أيمن العتوم) يغبط شيخ الأقصى الأسير؛ لأنه

¹ العتوم، أيمن، ديوانه، ص 103-104

* سوف أتحدث عن هذا المقطع من القصيدة عند حديثي عن الجهاد والمقاومة.

² العتوم، أيمن، ديوانه، ص 106

سجن من أجل القدس والأقصى، وأرض المسرى والمعراج، وهو شرف كبير وتاج لكل مسلم أن يضحى من أجل القدس وأقصاها.

والشاعر في لوحته هذه، وفي قصيدته هذه، يعرج بشعره نحو الجهاد والمقاومة في مجموعة من الأبيات، أرى الشاعر في كل قصيدة له من شعر القدس والأقصى يضع مجموعة من الأبيات يزين بها جيد قصائده الشعرية.

ولعل الشاعر بحديثه عن ممدوحه شيخ الأقصى يريد أن يوصل مجموعة رسائل منها: أن شيخ الأقصى (رائد صلاح) يستحق كل احترام وتقدير، بناء على تضحياته المشرفة نحو أرض الأقصى والمسرى، وأن الشاعر أراد أن يظهر مكانة القدس الدينية والإيمانية في نفوس المسلمين، خاصة من الذين أكرمهم الله بالإيمان وحب القدس والأقصى، وكذلك أن تحرير القدس وإزالة الاحتلال لا يكون إلا بأيدي رجال أمثال رائد صلاح، وإلا بالجهاد والمقاومة وليس غير.

2. اللوحة الثانية: الشوق والحب للقدس:

*من خلال قصيدته " وعد اللطى " :

يبدو أن الشاعر (أيمن العتوم) ينهج في قصيدته هذه نهج المذهب الصوفي في حبه للقدس والمسجد الأقصى، حتى إنني أرى أن الشاعر قد سار مسار عمر بن الفارض (سلطان العاشقين) في فائيته والتي بدأها بقوله:

قلبي يحدثني بأنك متلفي روجي فدالك عرفت أم لم تعرف (1)

لكن شاعرنا (د. أيمن العتوم) في قصيدته هذه يذوب عشقاً ومحبة وشوقاً في المسجد الأقصى المبارك، حتى يصل به الأمر لأن يتغزل به تغزلاً صوفياً عميقاً لدرجة الذوبان والتماهي معه، فيقول في مطلع قصيدته الفائية :

عيني لحبك بالمدامع تحتفي والروح من حر الصباية تحتفي

والنار لولا برد أيقاني لما شك الفؤاد بأنها لن تنطفي (2)

• ويغالبه الضدان، الشوق والأسى:

غالبت أشواقِي، وغالبني الأسى فتعاظم الضدان في قلب الوفي (3)

¹ ابن الفارض، عمر، ديوانه، المطبعة الأزهرية المصرية، ط1، 1319هـ. نصوص شعرية، جامعة القدس المفتوحة، ط2008، ص

267

² العتوم، أيمن، ديوانه، ص 47.

³ نفسه.

بدأت القصة

*بأسلوب قصصي صوفي جعل جوارحه ترتجف لظهوره: (ظل واقفاً أمام الأقصى يرتجف)

إني وقفت وفي الجوارح رجفةً
ولغير طهركَ مرةً لم ترجف⁽¹⁾

• وظل مذبح الفؤاد: (ظل واقفاً مذبح الفؤاد):

وظللتُ مذبح الفؤاد، وليس منْ
حوار مع مَلِكِ الحنين: (هو كاليتيم)

حتى أتى مَلِكِ الحنين فضمني
فازداد بي وله اليتيم المُذنب⁽³⁾

• طلب منه وعد اللقاء فرده:

وسألته عن وعد اللقاء فردني
بحر المحبة ليس يروي عاشقاً

• ويستمر الحوار:

يا سيدي... يا من وهبت قصائدي
لحن الخلود... ومن سموت بأحرفي
خذني أقلْ عثرات قلبي، إنما
وَعَدَ الحبيبُ حبيبةً بتعطفِ
إني ركعت من الجلال، وغام بي
عشقي، وذبت من الهيام المتلف⁽⁵⁾

• إلى أن يصحو من غفوته: (ولكنه لم يعرف ذاته وحقيقة موقفه)

وصحوت حين صحوت، لا ذاتي بدت
ذاتي ولم أعرف حقيقة موقفي

رغم صحوته بقي في غيبة حتى تجاذبه الشهود:

حتى تجاذبني الشهود لغيبة
فشهدتها وعرفت ما لم أعرف⁽⁶⁾

1 نفسه.

2 نفسه.

3 العنوم، أيمن، ديوانه.

4 نفسه ص48.

5 نفسه.

6 نفسه.

لقد استخدم الشاعر هنا مصطلح (الشهود) وهو مصطلح صوفي، يعني أن الإنسان إذا كشف عنه حجاب الحس، وفني في علائق النفس، وأصبح في حالة من الروحانية لم تكن من قبل، استطاع أن يشهد شهوداً نوقياً الذات الإلهية المطلقة عن كل قيد، المنزهة عن كل تعيين (1) .
- قلبه سكر وعيناه تذرّقان :

رفت رموش القلب حين ترنحتُ من سكرها, رفَّ الحمام الطُوفِ
واغرورقت عيناى حين زجرتها فتناهبتهى بالدموع الذُرْفِ (2)

• لجوء الشاعر العاشق للأقصى إلى أقصاه لقراءة القرآن:

وقرأت في الأقصى القريب صحائفي وتلوت في الجدران أروعَ مصحفِ (3)
• حتى يكشف هوى قلبه له:

فإلام أكتمك الهوى فيزيدني ألما, وفي كشف الهوى قلبي شُفي؟! (4)
والنار إن غطيتها ظلت على وعد اللظى, ولسوف عن قرب تفي (5)
• إلى أن يفخر الشاعر بقصائده:

إني اصطفيت على القصائد أحرفي فمتى قصائدي الخوالد تصطفي (6)

وإني أجد الشاعر في هذه القصيدة يسطر غاية شوقه وحبه لأقصاه، ذلك الشوق والحب الذي يصل بالشاعر إلى أن يتوحد مع محبوبه على طريقة الصوفية، وينظم قصيدته هذه على النهج الصوفي، مقلداً الشاعر عمر بن الفارض في فائيته، حتى إنه يتناص معه في جل قوافيه الشعرية، وألفاظه، وفي معانٍ كثيرة من معانيه وأفكاره. ويتفنن الشاعر في تصوير حبه وشوقه للأقصى، فهو أحياناً يجعل شوقه يصارع أساه، ثم يأتي الشاعر بتقنية القص مستخدماً السرد والحوار في قصيدته بينه وبين الشوق والحنين، إلى أن جعل للحنين ملكاً يسيره، وبين الغينة والأخرى يتطرق الشاعر إلى مفردات الصوفية كما حدث في حديثه عن الشهود والغيبة، وكشف الهوى والعشق...، ثم يلجأ الشاعر للأقصى لقراءة القرآن كلجوء العاشق الصوفي إلى الله، بحيث يتماهى كل منهما في الآخر، وما العشق المسكر، والدمع المذرف، وكشف الهوى ووعد اللظى إلا مراحل عشق صوفية يعيشها الشاعر أثناء حبه للأقصى.

¹ ينظر، حلمي، محمد مصطفى، ابن الفارض والحب الإلهي، دار المعارف بمصر، 1971، ص 315

² العتوم، أيمن، ديوانه ص 48-49.

³ نفسه.

⁴ نفسه.

⁵ نفسه.

⁶ نفسه.

3. اللوحة الثالثة: قصيدته السندية، ويقول عنها قبل البدء بقصيدته: - " أم كامل(فوزية الكرد)عنوان للتحدي والصمود والثبات المقدسي، فهي في حيّ الشيخ جراح بالقدس، لم تتنازل عن بيتها رغم محاولات شرائه منها بوسائل الإغراء المادي كافة، ثم هدمه، واقتحامه مرّات عديدة، وظلت تقاوم محاولات التهجير وطمس الهوية منذ ما يزيد عن عشر سنوات إلى اليوم..."(1)

وتدور مشاهد هذه اللوحة في الآتي:

• يشبه الشاعر أم كامل بأنها كالسندية وكالنجيل:

كالسندية... نحو الشمس ترتفع وكالنجيل؛ به في أرضه وبلغ(2)

• أم كامل لم تخف ولم تجزع ولم تياس:

ما مسّها زُغم نزع الجرح من كلِّ ولا قنوط ولا خوف ولا فزع(3)

• تسهر رغم هجع الآخرين المقصرين:

تنام كل المآقي وهي ساهرة ترثي لمن هم عن حقهم هجعوا(4)

• تظل ترفع رايات الصمود:

تظل ترفع رايات الصمود على ترابها، وهي ترعاها فلا تقع(5)

• لا تركع إلا لخالقها:

وليس تركع إلا للذي رفعت له السماء، إذا ما غيرها ركعوا(6)

• أم كامل تنزع في قدسها:

يا(أم كامل) قد علمت أمتنا كيف النساء بترب القدس تنزع(7)

• ثم بضمير الغائب يثني الشاعر على مكانة القدس وعلى حي الشيخ جراح فيقول :

فالقدس بحر الهدى، في لُجّه غرقت كلُّ الغداة ومن أهواله جرعوا

1 العتوم، أيمن، ديوانه، ص: 35

2 نفسه.

3 نفسه.

4 نفسه.

5 نفسه.

6 نفسه.

7 العتوم، أيمن، ديوانه، ص 36.

(الشيخ جراح) حيُّ القابضين على جمر الهويّة ماهانوا وما جزعوا

كأنهم أنجمٌ ما فارقوا فلكاً إلا وهم بضياء العزم قد سطعوا⁽¹⁾

• ثم بضمير الجمع المتكلم يتحدث عن الصومود:

فلن نفارق شبراً من منازلنا وفوق أنقاضها كالطير نجمعُ

إنا لنشهد غرباناً تحط على ظهر المقام وفيه تكثر السِّلَعُ

والله لو بدّلونا بالثرى ذهباً أو الملايين من أموالهم دفعوا

ما زحزحونا عن الأرض التي احتفلت بالمصطفى، فانمحي عن روحها الوجع⁽²⁾

• ثم يوجه الخطاب إلى سنديانة القدس (أم كامل) ويلوم المتخاذلين عن نصرتها:

يا حُرّة النفس، إن الله ناصرنا إذا المرابون في أهوائهم رتعوا

لو كان في القلب إيمان لما وقفوا مثل الثكالي على أعجازهم صُفِعُوا⁽³⁾

• الحق لا يضيع:

إن الحقوق إذا ضاعت فعن وهنٍ وما تضيع إذا قومٌ بها صدعوا⁽⁴⁾

• الصومود والصبر، والفجر قادم :

فابقي على الحق نبراساً ودرّب فدا فالفجر فوق قباب القدس يرتفع⁽⁵⁾

وهكذا يمضي الشاعر في سنديانة قصائده، يوجهها إلى سنديانة القدس (أم كامل) يصف صبرها وصمودها، ويدعوها إلى الاستمرار في الثبات على موقفها الراض للتنازل، رغم كثرة

¹ نفسه .

² نفسه، ص 36-37.

³ نفسه، ص: 37

⁴ نفسه.

⁵ نفسه.

العروض، والمساومات والإغراءات وقلة المناصرين، وكثرة المتخاذلين والمتأمريين... رغم كل ذلك، فهو يرى فيها المرأة المقدسية الحرة الشريفة الصامدة صمود السنديان والنخيل، والشاعر يرى فيها كذلك، المرأة الصامدة التي ترفع رايات الصمود، ولا ترقع لغير الله، وهي من أهل الشيخ جراح في القدس، الصامدين المرابطين، لا يبذلون ثرى الأوطان، ولا يتزحزون عن أرض الإسراء والمعراج، والحقوق لا تضيع مادام وراؤها من يطالب بها مهما طال الزمن، ولا بد للحق أن يعود لأصحابه، ولليل أن ينجلي، وسيبقى صوت هذه السنديانة التي صرخت بأعلى صوتها تعلن بيع دمها أهون عليها من التنازل أو بيع منزلها، مهما تنوعت الإغراءات وتعددت وسائل التهديد والوعيد... وسيبقى صوت إعلان الاستشهاد وفي سبيل الله أعلى من كل شيء. لقد مثلت هذه القصيدة أعلى درجات الصمود والثبات على أرض فلسطين الطهور المباركة، وخاصة القدس الطاهرة وأقصاها المبارك، وليكن هذا الصمود رسالة صاخبة ومدوية تفرع مسامع الاحتلال البغيض، بألا تنازل عن ذرة تراب من فلسطين، والفلسطيني الشريف لا يبيع ولا يتنازل عن القدس الشريف، وعن تراب فلسطين الطهور مهما طال الزمن.

اللوحه الرابعه: لوحه الجهاد والمقاومه:

أ. قصيدة "طيور القدس"

• بدأ الشاعر رائعته المقدسية بالحديث عن عرض بيع القدس والمساومة عليها للأعداء:

أرى وطناً إلى سوق يقاد ومن يشري إذا كسد المزاد؟!

وهل بيعت...؟! إذا عرضت بأيدي تخرمها التغول والفساد⁽¹⁾

• يدعو الشاعر على كل المتأمريين على القدس أن يتعرضوا لجهم أو بركان يأخذهم:

أنادي: يا بلاد الله كوني إذا كثر الأفاعي والجراد

جهم، أو لهيباً مستطيراً وبركاناً... فما أنتِ البلاد⁽²⁾

• ثم يدعو الشاعر ربه عليهم بالطوفان:

¹ العتوم، أيمن، ديوانه. ص: 53
² نفسه.

ويا ربّ البلاد إذا تمادت
على أبنائها السّود الشداد
فليس لها سوى طوفان نوح
وبالطوفان تغتسل العباد⁽¹⁾

• يشبه المتأمّرين والمتعاونين والعملاء بأنهم كالأصنام يقدهم ضعاف الناس وجهلائهم، فهم كالأدعياء الذين لا وزن لهم ولا قيمة:

أرى الأصنام تعبد في بلادي
وما تدري... متى نطق الجماد

يقدها البغاث فهل رأيتم
بغاثاً في العباد له اعتقاد
قلوب دَعِيّ أشجعها هواء
يطير، فلا يعود ولا يعاد⁽²⁾

• من العادة أن تقود الفرسان الخيل وليس العكس كما يحدث في بلادي:

وما نفع الجياد مطهمات
إذا ما قلتِ الأدنى الجياد؟!
يقود الخيلَ فرسانٌ أباةً
إذا... فعلام في بلدي تقاد؟!⁽³⁾

• واهم من يظن أن اليهود يريدون السلام:

يقولون: السلام... فقل: رماذ
وهل يجدي إذا نُفِخَ الرماذ؟!
يقولون: اصطبر لمفاوضات
ستثمر حين يقترب الحصاد
فقل: ثمر السلام أراه مرّاً
ودون مذاقهِ السُّمُرُ الصِّعاد⁽⁴⁾

• يدعو إلى الاستيقاظ من النوم ومواجهة المحتل بالسلاح:

فقل: للنائمين على بحار
من الأوهام قد طال الرقاد
يُرْدُ الحق بالرشاش، فاصرخ
به نغماً تميد له الوهاد
له يصغي الأصم، وكل أعمى
يراه، ويستبين به الرشاد⁽⁵⁾

¹ العتوم، أيمن، ديوانه. ص: 53

² نفسه، ص: 54

³ نفسه.

⁴ نفسه.

⁵ نفسه، ص: 55

• الدعوة إلى الجهاد والمقاومة والمواجهة:

وحشد في هوى الأقصى جيوشاً
يهاب لمثل سطوتها احتشاد
إذا نظقت حروف رصاص شعري
رأيت الخيل هيجها الطراد

وماجت في التربي لهباً وعزماً
وطار بها إلى القدس المراد
أنا شوق الصحابة حين شدوا
إلى الأقصى، وثورها الجهاد⁽¹⁾

• المواسة والمناصرة والمشاركة في الجهاد:

فلسطين الحبيبة... كل جرح
يسيل، فإنما دمننا المداد
معاً كنا، وما زلنا... فؤاداً
عصياً حين ينفطر الفؤاد

كأنا في الهوى ربتان ذابا
على جسد، وشكله الوداد
إذا امتلأت عروق (القدس) نزفاً
يكون بقلب (عمان) الصماد⁽²⁾
وإن (نابلس) صاحت و استغاثت
يكون لها من (السلط) النجاد
وإن صوت (الخليل) نوى نقهر
ففي (الكرك) الأبية يستعاد

وإن (بيسان) أرقها هموم
فأربد (يستبد بها السهاد
كذا الأحرار في وطني ليوث
ولكن غلت الأيدي الصفاد⁽³⁾
• لا بديل عن فلسطين وطناً:

فقل فيمن يرى وطناً بديلاً
بديك أن يداس لك الوساد⁽⁴⁾

• بيت القصيد: لا بد أن تعود طيور القدس إلى القدس: (كل غريب لابد أن يعود لوطنه)

¹ العنوم، أيمن، ديوانه، ص 55-56

² نفسه.

³ نفسه، ص 56-57

⁴ نفسه، ص 57

طيور القدس ما سكنت سواها وسوف تعود لو طال البعاد
إذا مر الشتاء بها مريراً ففي دفء الربيع لها معاد
وما ألفت نوارس بحر(يافا) سواه... وإن يكن طاب المهاد⁽¹⁾
• الصبر فالفرج قادم:

فصبراً... فالأمني قادمات تكاد تكون عن قرب... تكاد
أليس الفجر يطلعه ظلام أليس الصبح يسبقه السواد؟!⁽²⁾

* هذه القصيدة التي دعا بها الشاعر أهل القدس إلى الجهاد، بل والعمل على تحريرها هي وأقصاها، نظراً للمكانة المرموقة والعميقة في نفوس العرب والمسلمين و في قلوبهم، يتعرض الشاعر في مطلعها إلى الهم الذي يلاحقه في كل مكان، والضيق الذي يكابده أينما حلّ، ذلك الهم وهذا الضيق اللذان نتجا عن تنازل كثير من العرب والمسلمين عن نصره القدس وأقصاها. وعلى العمل على تحريرها من يد الغاصب اللئيم، ولم تكتف (بلاد العرب) بالتخاذل، بل وبالعمل على بيعها، ويدعو هنا عليهم بنار جهنم تحرقهم، أو بالبركان يجرفهم بناره، أو بالطوفان يغسل الأرض منهم؛ لأنهم كالأصنام التي يتبعها ضعاف الناس، ولا قيمة لهم في ميدان المعركة، فالخيول تقودهم ولا يقودونها، إضافة إلى انشغال البعض بالسلام والمفاوضات التي لا تجدي نفعاً؛ لأن اليهود لا ينفع معهم السلام، وهم لا يريدون السلام أصلاً، فهم كالوحوش التي تتربص بفريستها، ويقرر الشاعر (أيمن العتوم) - وكعادته - بأن هؤلاء لا ينفع معهم إلا الرشاش ولا يعيد الحق غيره، ثم يتحدث الشاعر عن المشاركة الوجدانية والجهادية بين فلسطين والأردن منذ قديم الزمان، ويرى أنه إذا اشتكت القدس ونابلس والخليل وبيسان تجيبها وتتجدها عمان والسلط والكرك وإربد-على الترتيب-؛ لأن الأردن أرض الأحرار وليوث الجهاد. وقبل أن يودع الشاعر قصيدته يأتي ببيت القصيد (طيور القدس...لو طال البعاد) ليقرر الحقيقة المتجذرة في نفسه وفي نفوس العرب والمسلمين الصادقين، بأنه مهما ابتعد الفلسطيني عن وطنه، فلا بد إلا أن يعود إليها، فكيف إذا كانت البلد التي سيعود إليها هي القدس وأقصاها؟ . ثم يقرر حقيقة أخرى يجب أن تستقر في عقولنا وقلوبنا! بأنه ما بعد الضيق إلا الفرج، وما بعد الظلام إلا الفجر، ولا بد أن يأتي الله بفرجه ويسحق المعتدين مهما طال ظلام ليلهم، فالنصر آت بإذن الله - تعالى-.

¹ العتوم، أيمن، ديوانه، ص 57
² نفسه

ب. لن تسقط الرايات: يذكر الشاعر أن القدس حررت من الكرك مرتين، الأولى بقيادة صلاح الدين، والثانية بقيادة الناصر بن قلاوون، وأن عبد القادر الحسيني استعان بأهل الكرك ليمدوه في ثورته في الثلاثينيات من القرن الماضي.

* يذكر الشاعر هواه نحو الكرك، ويذكر أمجادها وأخلاق أهلها وشجاعتهم وبأنها قلعة الأمجاد...:

هذي القصائد في هواك رسائلُ أَلقت أواخرها إلى أوائلُ

فإذا أصخبتِ إلى البيان وسحره فنقي بأني من نميرك ناهل
مالت بلاد بالنفوس وهومتُ وأنا إلى الكرك الحبيبة مائلُ
من لؤلؤ الأخلاق عقدك، والوفا قرطاك، والطبع الأصيل خلاخل

أهلوك أمثال النجوم على الثرى وثرأك أفق للسماء يطاول
الخازنين الشمس في جباههم لتضيء منها في الظلام مشاعلُ⁽¹⁾

• بعدها يتحدث الشاعر عن المراحل الجهادية من أجل القدس التي انطلقت من الكرك:

من هذه الأرض الطهور تفجرت عين الحضارة، واستفاقت بابل
ومشت إلى القدس الجيوش وحممت في الطور خيل الصبح وهي صواهل

ومضى صلاح الدين يقدم جنده والبيض تَبْرِقُ، والرماح نوابل
وسقى بها (أرناط) كأس منية رفعت بمترعها إليه مناصل⁽²⁾

• لن تعود القدس بغير جهاد:

فاقرأ سطور المجد من تاريخنا واهتف لمن هو في الحقيقة جاهل

¹ العتوم، أيمن، ديوانه، ص 80-82
² نفسه، ص 83

لن يرجع القدس التفاوض مرةً القدس يرجعها قناً وقنابل

من هذه الصّعدت يصعد فجرنا فابزغ فإن الليل بعدك آفل
يا راية رفعت لترفع أمةً الحق أبلج، والعمي الباطل(1)
• ثم يتذكر الشاعر "مؤتة" و"زيد بن رواحة" و"جعفر بن أبي طالب" و"عبد الله بن رواحة":

بك مؤتة العزمات صارت رمزنا ففوارس وفواتك، وبواسل
يا زيد والروح التي أهديتها والموت يرقص-خادعاً- ويشاغل
رايات جعفر لم تزل خفاقة في المشرقين عن الإباء تقاتل

فاشدد عنان الحرب لابن رواحة كي لا يشد بنا الأعنة خاذل
فلأجل عينك أنت يا عيني أنا سأظل أكتب في الهوى وأحاول(2)

• من ماضيه وماضي أمته التليد، يستذكر الشاعر أيام البطولة والجهاد، أيام العز والإباء، فرايات الجهاد والرباط لن تسقط، فهي راية زيد وجعفر وعبد الله بن رواحة يوم مؤتة، هي راية الكرك الأبية التي ما فتئت تقدم العون والنجدة لمن يطلبها، فكيف إن كان طالبها أهل القدس ومجاهدوها؟! أيام الجهاد تتكرر، ورايات المقاومة والبسالة تتقدم نحو القدس، كلما جاءها محتل غاصب، فأهل الكرك الكرام بأخلاقهم وأصالتهم ونخوتهم ما زالوا على العهد يقدمون للقدس وأقصاها كلما احتاجت إليهم، فقلعة الأمجاد لن تبخل ولن تتأخر عن تقديم ما يلزم، فكم سارت من الكرك جيوش لنصرة القدس وأقصاها، فصلاح الدين (قائِلُ أرناط) كان على رأس جيش التحرير لها من الصليبيين، فالقدس أرض مباركة لن يعيدها ومسجدها إلى حاضنتها العربية والإسلامية غير الجهاد المقدس، الذي يزحف للتحرير صوب القدس وأقصاها الحزين.

ت: قصائد أخرى:

¹ نفسه، ص84

² العتوم، أيمن، ديوانه، ص84-85

*في قصيدة الشاعر: " هي القدس... نور الله", يدعو الشاعر إلى ترك أوهم السلام والبعد بإعداد الخيول وفرسانها المجاهدة؛ لأنه لا شيء يعيد القدس وأقصاها سوى الجهاد والمقاومة المسلحة كما قال الشاعر:

فدع عنك أوهم السلام فإنما سلامك تحميه القنا والشدائد
وأسرج لها خيلاً وزيتاً ورايةً وهُبَّ، فإن العجز بالمرء قاعد
إذا رمت صيد النجم فانخر عزيمة فما نال صعب الأمر إلا المعاند
غداً تحت فيء الله نلتقي وتصفو لنا تلك الرّبي والمعاهد
وتشدو طيور القدس حين تزورها فكل غريب الدار لا بد عائد⁽¹⁾

*وفي قصيدته "سراج الأقصى" التي يخاطب فيها شيخ الأقصى "رائد صلاح" يقول الشاعر مظهراً مكانة القدس عند المسلمين والمجاهدين، ومدى أهميتها إذا ما تعرضت إلى خطر، وماذا علينا عند ذلك؛ لأن القدس هي صورتنا، وهي خيمتنا، وهي نخلتنا، وهي الباقية، ولا بد للمدافعين عنها والمجاهدين دونها أن ينتبهوا إلى غدر اليهود:

أشعل نداءً: (القدس في خطر) وخذ من لحمنا وعظامنا أن يوقدا
وانثر يمانا فوق أقصانا هوى وحذار من نار الإيا أن تخمدا
إن تسلب القدس الأمان فلن ترى لعواصم العرب الأمان على المدى

القدس صورتنا... إذا رفلت على ثوب النعيم همّت علينا مسجدا
القدس خيمتنا... فمن سيظننا إن هبّ ريح العاتيات وعربدا
القدس نخلتنا... إذا تهوى... هوى شمل العروبة بعدها وتبددا
نحن الذين مع الفناء سننتهي ولسوف تبقى والأذان مخلداً

الخالدان: المسجد الأقصى وقد سجدت لهيبة القواصم والرّدى

¹ العتوم، أيمن، ديوانه، ص 88-89

والذائدون عن الحمى ما استعطفوا غدر اليهود ولا استلذوا المرقدا⁽¹⁾

وهكذا بدا لنا من خلال الدراسة الموضوعية لهذه القصائد في لوحاتها المختلفة، إصرار الشاعر على الآتي:

- ◆ للقدس وأقصاها مكانة عظيمة عند العرب والمسلمين في كل زمان ومكان، وفي كل العصور والدهور، وإلى قيام الساعة.
- ◆ شدة الشوق والحنين للقدس الشريف وأقصاها المبارك.
- ◆ أهل القدس المرابطون فيها، والذين رفضوا الاستسلام أو بيع ممتلكاتهم للعدو، رغم كل محاولات الترغيب والترهيب لهم، فهم من الشرفاء ولهم كل احترام وتقدير، والله يجزيهم الجزاء الأوفى.
- ◆ لا تحرر القدس وأقصاها إلا بقوة السلاح والإيمان والجهاد، وليس بالتخاذل والتآمر والمفاوضات، فمفاوضات الضعيف لا تعيد حقاً مسلوباً.
- ◆ يذكر الشاعر المسلمين بأهمية القدس وأقصاها عند العرب والمسلمين، وبأنه إذا عزت القدس وتحررت عز العرب والمسلمون، وعاشوا أعزاء كرماء، وهذا التذكير ضروري للعرب والمسلمين حتى يهبوا لإنقاذ مسراهم ويحرروه من أسرهم.

ثانياً: الدراسة الفنية

• الصورة الفنية:

تتميز الصور عند "د. أيمن العنوم" بالتجديد والتنوع والتلوين، بحسب ووفق المشاعر عند الشاعر ومتطلبات الموقف، وكذلك تتمايز صورته عن غيره بقدرته الشاعر على الصياغة التعبيرية، والتشكيلات البيانية التي تدفع المتلقي أحياناً إلى مزيد من التأويل لأبياته الشعرية. والصورة الفنية عنده هي "الطريقة التي تفرض بها علينا نوعاً من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى ونتأثر به"⁽²⁾، ولهذا تعد الصورة الفنية أداة القرآن الكريم المتميزة في التعبير والإبلاغ بما تتمتع به من حركة وحياة، وبما تمتاز به من قوة التأثير في المتلقي⁽³⁾.

¹ نفسه، ص 103-104

² عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، مطبعة القاهرة الجديدة، (د،ت)، (د،ط)، ص:363.

³ المحمد، أما سليمان، الصورة الفنية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية آداب، جامعة دمشق، 1995، ص11.

وأجد الشاعر يبدأ قصيدته (السنديانة) بتصوير (أم كامل) التي تحدث العدو المحتل ولم تبع أرضها ومنزلها. حيث شبهها بالسنديانة التي تطاول الشمس، وكالنجيل المتجذر في الأرض والمتشبث فيها وبها، فالسنديانة رمز للعزة والكرامة والإباء في رفض الذل والمساومة، والنجيل رمز التمسك والإصرار والصمود والثبات، والصورتان "تكمل وتوازرن إحداهما الأخرى"، وقد قال الشاعر في ذلك:

كالسنديانة... نحو الشمس ترتفع وكاننجيل؛ به في أرضه وئغ⁽¹⁾

وفي صورة أخرى يشبه الشاعر المتخاذلين عن نصره هذه المرأة بشكل خاص، وعن نصره القدس وأقصاها بشكل عام، بقطع الغنم الذي يهجع (ينام) دون أن يفكر بشيء، بينما "أم كامل" (السنديانة) تبقى ساهرة ترقب الموقف، وفي ذلك يقول الشاعر:

تنام كل المآقي وهي ساهرة ترثي لمن هم عن حقهم هجعوا⁽²⁾

ولعل معظم صور الشاعر تمتزج بالمشاعر الوجدانية، لكونها تصور موقفاً نفسياً أو شيئاً مهماً له قيمته على الصعيد الإسلامي الذي يخص كل مسلم ومسلمة على هذه الأرض المقدسة؛ ولذا تبدو الصورة الوجدانية موسومة بميسم شخصية الشاعر المبدع، "حيث تتضافر العلاقات الفنية بين عناصرها المختلفة على تأسيس عدد من الدلالات الإيحائية التي تجعل من هذه الصورة لبنة في إنتاج الدلالات الكلية للقصيدة"⁽³⁾. وغالباً ما تكون الصورة الشعرية التي عمل الشاعر على تركيبها وإبرازها، ما هي إلا إعادة إنتاج عقلية لتجربة عاطفية⁽⁴⁾، فمثلاً في البيت التالي:

ترى البيوت جسوم الناس إن هُدمت وقُطعت فكأن الروح قد قطعوا⁽⁵⁾

يشبه الشاعر البيوت المهذمة وجسوم الناس المقطعة كالروح المقطعة، وذلك في مشهد مأساوي حزين، وفي قوله:

يا (أم كامل) قد علمت أمتنا كيف النساء بترب القدس تنزرع⁽⁶⁾

فعلى سبيل الاستعارة يشبه الشاعر النساء الصامدة في بيوتها في القدس كالنباتات والأشجار المنزرعة في التراب والتي يصعب اقتلاعها.

¹ العتوم، أيمن، ديوانه، ص:35.

² نفسه.

³ عبد القادر، بسيم عبد العظيم، شعر الأسرى والسجن في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1989، ص257-258.

⁴ ينظر: ويليك، رينيه، نظرية الأدب، ترجمة يحيى الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987،

ص:194.

⁵ العتوم، أيمن، ديوانه، ص:36.

⁶ نفسه.

وتتزاحم الصور والتشبيهات عند الشاعر في هذه القصيدة بين البيتين (8-13) وتتنوع، وهذه الأبيات يقول فيها:

فالقُدس بحر الهدى، في لجه غرقت
(والشيخ جراح) حي القابضين على
كأنهم أنجم ما فارقوا فلكاً
فلن نفارق شبراً من منازلنا
إنا لنشهد غرباناً تحط على
كل الغداة ومن أهواله جرعو
جمر الهوية ما هانوا وما جزعوا
إلا وهم بضياء العزم قد سطعوا
وفوق أنقاضها كالطير نجمع
ظهر المقام، وفيه تكثر السلع⁽¹⁾

يستخدم الشاعر في البيت الأول والثاني من هذه المجموعة التشبيه البليغ (القدس بحر الهوى)، (والشيخ جراح حي القابضين على جمر الهوية)، ويبدو أن التشبيه البليغ هو مرحلة من الناحية الشعرية يقع بين التشبيه والاستعارة وقد استخدم الشاعر التشبيه البليغ من نوع المبتدأ والخبر، ثم أتى الشاعر بالتشبيه العادي كقوله (كأنهم أنجم) وقوله (كالطير نجمع) باستخدام أداة التشبيه، وقوله (غرباناً) كناية عن الأعداء الغرباء الذين أينما حلوا يحل الخراب والدمار والسواد. وفي قصيدة الشاعر "طيور القدس" يبدأ الشاعر قصيدته بتشبيه الوطن يقاد إلى السوق لبيعه على سبيل التجسيد الذي يعني إضفاء صفات مادية على المعنويات، وذلك في قوله:

أرى وطناً إلى سوق يقاد ومن يشري إذا كسد المزاد؟!⁽²⁾

ثم أجدّه يشبه الاحتلال الصهيوني بالأفاعي والجراد في قوله:

أنادي: يا بلاد الله كوني إذا كثُر الأفاعي والجراد⁽³⁾

بعد ذلك يأتي الشاعر بتصوير لضعاف النفوس بالبعثات، وهم ضعاف الطير، فهؤلاء البعثات من الناس هم الذين يقدسون الأصنام والمعتقدات المنحرفة، شأنهم في ذلك شأن من ضل من الناس؛ لأنهم لا يوجد لهم رأي مستقل يعتمدون عليه. كقول الشاعر:

أرى الأصنام تعبد في بلادي
بقدسها البعثات فهل رأيتم
وما تدري...متى نطق الجماد؟!
بعثاً في العباد له اعتقاد⁽⁴⁾
أما في قوله:

فلسطين الحبيبة...كل جرح
كأنما في الهوى رثتان ذابا
يسيل، فإنما دمننا المداد
على جسد وشكله الوداد⁽⁵⁾

1 نفسه.

2 نفسه، ص:53.

3 العتوم، أيمن، ديوانه، ص:53.

4 نفسه، ص:54.

5 نفسه، ص:56.

فإن الشاعر وفي صورة جميلة يشبهه (فلسطين مع نفسه) متماهياً معها، وبأنهما كالرئيتين في جسد واحد، وهذا دليل أهمية كل منهما عند الآخر وللآخر، وفي قول الشاعر:

كذا الأحرار في وطني ليوث ولكن غلّت الأبدى الصفاد⁽¹⁾

فالشاعر هنا يشبه الأحرار الرافضين للذل والاستسلام في وطنه بأنهم كالليوث الأبطال، لولا تكبير أيديهم من قبل الاحتلال، أو من قبل من يؤيدون الاحتلال.
ولعل الشاعر في قوله:

فصبراً... فالأمني قادمات تكاد تكون عن قرب... تكاد⁽²⁾

حيث يلجأ إلى التجسيد في قوله "فالأمني قادمات" بخلعه صفات محسوسة على المعنويات، حيث جعل من الأمني كائنات محسوسة بقدمها وسيرها.
وفي قصيدة الشاعر (لن تسقط الرايات) يصور الشاعر الكرك بأنها كالطود، وأهلها كالنجوم، وثرها كالأفق يطاول السماء، فيقول:

هل أنت باقية على كز المدى أو يهلك الباقي من هو زائل؟!
كالطود يدهمه النسيم، فينثني والطود من ضاحك أو هازل
أهلوك أمثال النجوم على الثرى وثرارك أفق للسماء يطاول⁽³⁾
وفي صورة أخرى يقول الشاعر:

يحكي رحيلك عنهم صحو الندى فالروح تبقى، والجسوم رواحل
الخانزين الشمس في جبهاتهم لتضيء منها في الظلام مشاعل
والمطلعين النجم من بسماتهم لتفيض منها في الفضاء فضائل⁽⁴⁾

يشبه الشاعر في البيت الأول من هذه المجموعة الراحل عن أهل الكرك، بانقطاع الندى عن النباتات والأشجار؛ لأن الراحل يرحل بجسده، لكن روحه تبقى حيث كانت في الكرك، وهذا دليل تمسك أهل الكرك بزوارها وضيوفها وأن من يأتيها يحبها ولا يرغب بمفارقتها.

وأجد الشاعر في البيتين (الثاني والثالث) من المجموعة أعلاه، يلجأ إلى ما يسمى بالغلو - وهو فوق المبالغة والإغراق - ويعني "امتناع الوصف المدعى عقلاً وعادة"⁽⁵⁾؛ لأنه شبه رجال الكرك بأنهم يخزنون الشمس في جبهاتهم، حتى يجعلون منها مشاعل تضيء لهم ظلام الليل، وبأنهم

1 نفسه، ص: 57.

2 نفسه.

3 نفسه، ص: 81.

4 العتوم أيمن، ديوانه، ص: 82-83، ص: 56.

5 عتيق، عبد العزيز، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، 1974، (د، ط)، ص: 81.

عندما يبتسمون تخرج من أفواههم النجوم -حديثهم- التي تتحول إلى فضائل ومكارم تملأ الفضاء والكون، ولعل البيت الأخير يجمع غلواً مركباً، فالنجوم تخرج من أفواههم عند ابتسامتهم، ثم تتحول إلى فضائل، أي غلو يضاف إلى غلو، وهو ممن يصعب وصفة عقلاً وعادة، ولكن الشاعر جاء بها على سبيل المدح والثناء فهو مقبول.

أما في قصيدة الشاعر "سراج الأقصى" والتي أهداها لشيخ الأقصى "رائد صلاح" فإن الشاعر يقدم على أبواب قصيدته هذه سيلاً من التشبيهات حيث يقول:

كالليث زمجر... كالعواصف أرعداً كالفجر أسفر... كالآذان تشهداً⁽¹⁾

فالشاعر شبه الشيخ "رائد صلاح" بالليث، والعواصف، والفجر، والآذان، ثم شبهه بالطود والنجم فيقول:

يا شامخاً كالطود... يا مترفعاً كالنجم في الأفلاك... يا متوقداً⁽²⁾

ويأتي الشاعر بالتشبيه البليغ على طريقة المبتدأ والخبر فيقول مشبهاً القدس بالصورة، وبالخيمة، وبالنخلة:

القدس صورتنا... إذا رفلت على ثوب النعيم همّت علينا عسجدا
القدس خيمتنا... فمن سيظننا إن هب ريح العاتيات وعربدا
القدس نخلتنا... إذا تهوى... هوى وإن شمل العروبة بعدها وتبددا⁽³⁾

بعدها يشبه الشاعر (أيمن العتوم) شيخ الأقصى بأنه عندما يمضي إلى السجن يكون كالليث يذهب إلى ساحة المعركة، وزرد الحديد المقيد به هو كوسام العز والثبات. وفي ذلك يقول الشاعر:

تمضي لسجنك كالليوث إلى الشرى ألف النوازل واستطاب المورد
زرد الحديد على يديك وسامة ووسام عزّ من ثباتك قلداً⁽⁴⁾

بعد ذلك يشبه الشاعر ثورة من سيأتي منجداً للشيخ "رائد صلاح" بأنها كالطوفان والبركان فيقول:

ونثور كالطوفان ماج هديره ونفور كالبركان... لن نترددا⁽⁵⁾

1 العتوم أيمن، ديوانه، ص:101.

2 نفسه، ص:102.

3 نفسه، ص:103.

4 العتوم أيمن، ديوانه، ص:105.

5 نفسه، ص:106.

ويتعامل الشاعر "أيمن العتوم" في قصائده قيد الدراسة في صوره مع مدركات تتبادل فيما بينها على مستوى التقسيم الصوري، فيأتي بالتجسيد الذي هو إضفاء صفات محسوسة على المعنويات، أو هو إطلاق الماديات على المعنويات، كقول الشاعر:

<u>التجسيد</u>	<u>الصفحة</u>	<u>التجسيد</u>	<u>الصفحة</u>
بحر الهوى	36	سطور المجد	84
جمر الهوية	36	يصعد فجرنا	84
برد إبقاني	47	الموت يرقص	84
مَلَك الحنين	47	الحنين عائد	85
بحر المحبة	48	أزهارها السحر	86
رصاص شعري	55	دفاتر حب	86
قلعة الأمجاد	81	القياب قصائد	86
كرك الرؤى	81	ليل التائهين	102
مطر الحياة	82	سيوف الصحو	102
عين الحضارة	83	نار الإبا	103
خيل الصبح	83	رُتَب الخنوع	105
جسد البكور	83	يشتعل الصدى	106
كأس أمنية	83	تضيء دمانا	106

ويأتي بالتشخيص (الأنسنة) وهو إضفاء صفات إنسانية على المحسوسات أو الماديات كقوله:

<u>التشخيص</u>	<u>الصفحة</u>
عين تختفي	47
نطقت حروف	55
سامرت النجم	80
الطود ضاحك	81
تقيض النجم فضائل	83
جنت المساجد	87
الكون ساجد	87
الصخر أطربه الهوى	87

وقفت المنون 101

قصور الحكم تتجب سادة 105

المسجد الأقصى ينجب السيدا 105

ثم يأتي بالتجريد، وهو إضفاء صفات معنوية على المحسوسات، لتزيل الفوارق بين المادي والمحسوس، وتقيم بدلاً منها علاقات ذاتية، ومن ذلك قول الشاعر:

التجريد **الصفحة**

82 جبهاتهم تضيء

86 تحبو الفراق

86 آيات الكتاب قلائد

101 عطشت الصخرة

ويتفاعل الشاعر مع قصائده المقدسية، فيلجأ إلى ما يسمى بتبادل الحواس، أو تراسلها، وهو إطلاق صفة حاسة ما على حاسة أخرى، أو أن تتبادل الحاسة الواحدة صفاتها، كأن ترى العين الأبيض أسود، أو ترى الظلام نوراً، ومثل قول أحدهم: الصوت أسود، فالصوت مدرك سمعي، وصفه بالسواد الذي هو مدرك بصري، فتبادلت حاستي السمع والبصر الصفات، فأصبح كل منهما يعبر عن الآخر، والشاعر "أيمن العتوم" في مثل ذلك يقول:

فقل: ثمر السلام أراه مَرّاً
له يصغي الأصم وكل أعمى
ودون مذاقه السمير الصعاد
يراه، ويستبين به الرشاد
إذا نطقت حروف رصاص شعري
رأيت الخيل هيجها الطراد⁽¹⁾

ولربما جاء الشاعر "أيمن العتوم" بهذا الكم من التجريد والتجسيد والتشخيص (الأنسنة) وتبادل الحواس أو تراسلها، إلا من أجل أن يميل بأسلوبه الشعري نحو الانحراف أو الانزياح، والشاعر في هذا يجعل النص مفتوحاً على بعض التأويلات التي هيأها النظام السيميائي للغة الشعرية، أو بسبب الفجوة بين النظام المعياري المألوف والنظام الشعري الذي جاء عليه النص الشعري⁽²⁾؛ لأن "الإثارة الذهنية التي تتحرف عن المعتاد القياسي في حياتنا الذهنية لا بد وأن يكون لها انحراف لغوي مرافق من الاستعمال العادي"⁽³⁾، وهنا لا بد أن يستخدم الناقد في مثل هذه الظروف نظرية التلقي والتأويل، وهنا يبرز دور المتلقي ونظرية التلقي التي أرسى دعائمها "ياوس" و"إيزر" والتي أعطت المتلقي دوراً في تأويل العمل الفني وتحليل أبعاده⁽⁴⁾، ولكن لا يمكن للمتلقي

¹ العتوم، أيمن، ديوانه، ص:55.

² الرواشدة، سامح، إشكالية التلقي والتأويل، منشورات أمانة عمان الكبرى، ط1، 2001، ص54.

³ ويليك، رينيه، نظرية الأدب، ص189.

⁴ الرواشدة، سامح، إشكالية التلقي والتأويل، ص141.

أن يستنفد خصوصية الإبداع، كما أن عمل المتلقي هو فاعلية شكلية تهدف إلى تحديد المعنى المحتمل⁽¹⁾، فقول الشاعر في باب التجسيد " جمر الهوية(ص36)، ورمصاص شعري (ص55)، وعين الحضارة (ص83)، وقوله في باب التشخيص (الأنسنة): "الطود ضاحك (ص81)، الصخر أطربه الهوى (ص87)"، وفي باب تراسل الحواس أو تبادلها: "أراه مرأاً، يصغي الأصم، كل أعمى يراه، نطقت حروف (ص55)". كل هذه الشبكة من الصور المنوعة والملونة تصلح لها تحليلات وتفسيرات متعددة، بحسب النص الشعري، وبحسب المناسبة، وبحسب المتلقي وثقافته وفكره، مما يجعل النصوص الشعرية التي حملت هذه الأبواب أو النوافذ التصويرية تحمل دلالات ورؤى متنوعة، تزيد من انفتاح النص الشعري على تأويلات متعددة، تؤدي في النهاية إلى خلود النص الشعري، وجعله محط أنظار المتلقين وتأويلاتهم إذ "لعل اختلاف تأويلات النقاد عن مقاصد المؤلفين، قد يحقق للعمل فائدة جلية تعين على توسيع آفاقه وفضاءاته"⁽²⁾.

• مناطق العمى:

يلجأ بعض الشعراء أحياناً إلى خلق مناطق عمى في قصائدهم الشعرية، كعلامات الفراغ، أو ترك فراغ بين الكلمات دون وضع شيء، أو وضع علامات أو رموز معينة، يقصد منها الشاعر أموراً خاصة، أو يتركها لتأويل المتلقي، وهنا يبدو أن الشاعر قد جاء في معظم قصائده بعلامة الفراغ (...). في أبياته الشعرية، وقد كثرت حتى أصبحت مجالاً للفت نظر المتلقي الناقد، أو المؤول أو القارئ أو غير ذلك، حتى لا تكاد تخلو قصيدة من هذه العلامة، التي يجوز لنا أن نطلق عليها مناطق عمى من وجهة نظر المتلقي لأول وهله، ولكن إذا ما أحسن الناقد التعامل معها فقد تصبح مناطق إضاءة؛ لأن "مناطق العمى تسمح للنص بأن يعتمد اعتماداً واسعاً على التأويل، والتأويل من جانب آخر يعتمد اعتماداً رئيساً على النص؛ لأنه يجد فيه فرصة حرة لممارسة فاعليته"⁽³⁾ فمن ذلك قول الشاعر:

كالسنديانة... نحو الشمس ترتفع	وكالخييل؛ به في أرضه ولع ⁽⁴⁾
ما هدموا... ما أقاموا فوق جثتنا	ما فزعوا... ما تناهى المشهد البشع ⁽⁵⁾
يا سيدي... يا من وهبت قصائدي	لحن الخلود... ومن سموت بأحرف ⁽⁶⁾
فصبراً... فالأماني قادمات	تكاد تكون عن قرب... تكاد ⁽⁷⁾

1 غصن، أمينة، قراءات غير بريئة في التأويل والتلقي، دار الآداب، بيروت، ط1، 1999، ص60.
2 الرواشدة، سامح، إشكالية التلقي والتأويل، ص16.
3 شولز، روبرت، السيمياء والتأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1994، ص:37.
4 العتوم، أيمن، ديوانه، ص:35.
5 نفسه، ص:36.
6 نفسه، ص:48.
7 نفسه، ص:57.

هي القدس نور الله... أتى لنوره بأن ينظفي، والنور بالله خالد⁽¹⁾

ولعل الشاعر في نثره لمنطقة العمى هذه في جل قصائده، يجعل منها ظاهرة تستحق الدرس والتحليل والتأويل، "فمناطق العمى تصبح مناطق إضاءة لدى المؤول، فتكشف جانباً مهماً من نفسية الشاعر ومن رسالة النص"⁽²⁾، فماذا أراد الشاعر أن يقول بعد كلمة (كالسنديانة)؟، أو بعد (ما هدموا)؟ أو بعد (ما فزعوا)؟، أو بعد (يا سيدي)؟ وهكذا في بقية الأبيات المذكورة هناك، أو المتروكة في الأبيات داخل الديوان، والتي يضيق المجال بها هنا لذكرها، وهذا الأمر يفتح المجال واسعاً إلى التأويلات المنوعة والمحتملة لذكرها، والتي قد تناسب البيت الشعري عند (س) من الناس، ولا تناسب (ص) منهم، وهكذا. ولاحظت كذلك أن الشاعر استخدم نقاط الفراغ هذه (...) في العناوين⁽³⁾، فربما أن الشاعر قصد منهما مثل ما كان يقصده خلال الأبيات، بأن يترك للمتلقي توقع ما يشاء من الكلمات، ولكنها ربما تكون في العنوان أكثر تعمية، وفي نفس الوقت أعقق دلالة؛ لأنها ستحير المتلقي وتزيد من توقعاته.

• أفعال الأمر:

تعامل الشاعر بإسراف مع الأسلوبين الخبري والإنشائي، وسأركز هنا على نوع واحد وهو الأسلوب الإنشائي؛ لأن الإنشاء "يجسد نمطاً إيقاعياً جالياً يرتفع في النفس بترداد حدة النغم فيه"⁽⁴⁾، ومضمون الإنشاء "يتوقف على النطق به، وطريقته تحدد نوع الطلب واستدعاء ما هو غير حاصل، ومن ثم ينفذه المخاطب"⁽⁵⁾ كما سأركز على نوع من الأسلوب الإنشائي الطلبي وهو الأمر، وهو باعتبار الصفة "طلب فعل غير كف، وصيغته افعل، وتلفعل وهي حقيقة في الإيجاب"⁽⁶⁾.

أما باعتبار الدلالة والمعنى فهو "طلب الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء والإلتزام"⁽⁷⁾ وباعتبار الوجود والتحقق فهو الذي "يدل على طلب الحدوث لشيء لم يقع وليس واقعاً"⁽⁸⁾ وإذا ما استعرضنا قصائد الشاعر قيد الدراسة، نجد قلة الصيغ الأمرية في قصيدة "السنديانة" وقصيدة "وعد اللطى"، فقد ورد لكل منهما صيغتان أمرتان فقط، بينما أجد في قصيدة "طبور القدس"

¹ نفسه، ص: 87.

² الرواشدة، سامح، إشكالية التلقي والتأويل، ص 30-31.

³ كقوله في الديوان: "لن تسقط الرايات..." (ص80)

وقوله: "هي القدس... نور الله" (ص86).

⁴ جمعة، حسين، جماليات الخبر والإنشاء، دراسة بلاغية جمالية نقدية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص47.

⁵ نفسه، ص101.

⁶ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ج2، (د، ط)، 1973،

ص81.

⁷ غوادة، فيصل حسين، الوافي في علم البلاغة، السواقي العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص42.

⁸ الريحاني، محمد عبد الرحمن، اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،

القاهرة، (دبت)، ص: 131.

تتكرر الصيغ الأمرية سبع مرات، وفي قصيدة "لن تسقط الرايات... ست مرات، وفي قصيدة "هي القدس... نور الله" ست مرات، وفي قصيدة "سراج الأقصى" ست عشرة مرة، وطبعاً هذا التكرار في قصائده المختلفة وخاصة في القصيدة الأخيرة، يكاد يشكل ظاهرة أسلوبية تستحق الدراسة، فلو أخذنا مثلاً القصيدة الأخيرة "سراج الأقصى" وهي مكونة من ستة وثلاثين بيتاً، ومن ثلاثة مقاطع، جاء المقطع الثاني فيها مكوناً من ستة عشر بيتاً وهو أكبرها، وقد تميز هذا المقطع بتكثيف الصيغ الأمرية، بالتعامل مع فعل الأمر ثلاث عشرة مرة، واسم فعل الأمر مرة واحدة، فقد جاءت على الترتيب "قف، أضيئ، أعد، اصرخ، ابعث، ارفع، انتفض، اغضب، فكن، وكن، أشعل، وخذ، انثر، حذار"،⁽¹⁾ وهذا التكثيف يتناسب مع المقطع الثاني من القصيدة التي ركز فيه الشاعر على وصايا ونصائح يقدمها لسراج الأقصى وشيخه "رائد صلاح"، وكلها صيغ تفيد التحرك والاستعداد والانطلاق للمواجهة مع المحتل، مع الحذر في كل خطوة، وذلك ليشد من أزره، ويقوي من عزيمته؛ لأن الشاعر يعلم الوظيفة النفسية والأخلاقية التي ينطوي عليها أسلوب الأمر، وهو هنا يصور الحالة النفسية للأمر والمخاطب على اختلاف مكانة كل منهما؛ ولذا يعدّ فعل صيغة الأمر من التراكيب النحوية التي يتعلق معاني النحو فيها بالفكر، وهي تمثل العلاقات بين معاني الكلمات في النفس، وترتب الكلمة على نسق معانيها، مع ضرورة النظر في علاقتها الداخلية بالإمكانات النحوية⁽²⁾.

¹ العتوم، أيمن، ديوانه، ص: 102-103.

² ينظر، عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص: 46 - 47.